﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦﴾ [الحجّ: 36]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تخصيصُ الإبلِ بالذِّكرِ بعدَ التَّعميمِ بذِكْرِ الأنعامِ

لمّا حثَّ سبحانَهُ على التَّقرُّبِ بالأنعامِ كلِّها، وبيَّنَ أنَّ ذلكَ مِنْ تقوى القُلوبِ، وكانتِ الإبلُ أعظمَها خَلْقًا وأكثرَها نفعًا وأنفسَها قيمةً؛ خصَّها بالذِّكرِ في سياقٍ تكونُ فيهِ مذكورةً مرَّتيْنِ، أو أنَّهُ خصَّها؛ لأنَّهُ خصَّ العربَ بها دونَ الأُمَمِ الماضيةِ، فقالَ: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾، الآيةَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱلۡبُدۡنَ﴾: الأصل (بدن) معناه شَخْصُ الشَّيءِ دونَ أطرافِه[2]، والبَدَنُ: الجَسَدُ، لكنَّ البَدَنَ يُقالُ باعتبارِ عِظَمِ الجُثَّةِ، والجَسَدَ يُقالُ باعتبارِ اللَّونِ، ومنهُ قيلَ: ثوبٌ مُجسَّدٌ، وقيلَ: امرأةٌ بادِنٌ وبَدينٌ: عظيمةُ البَدَنِ، والبُدْنَةُ: واحدةُ البُدْنِ، وهي الإبلُ السِّمانُ الَّتي تُهْدَى للبيتِ، قالَ تعالى: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾[3].

2) ﴿صَوَآفَّۖ﴾: للجذر (صفّ) أصلٌ واحدٌ؛ وهو استواءٌ في الشَّيءِ وتساوٍ بينَ شيئَيْنِ في المَقَرِّ[4]، ومِنْ ذلكَ: الصَّفُّ، يُقالُ: وقَفا صفًّا؛ إذا وقفَ كلُّ واحدٍ إلى جَنْبِ صاحبِهِ، واصطفَّ القومُ، وتصافَّوا[5]،

(1) البقاعيُّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 49، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 17/ 114.
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بدن).
(3) الرَّاغب، المُفردات، والسَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (بدن).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (صفف).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والزَّمخشريّ، أساس البلاغة: (صفف).

وصَفَفْتُ كذا: جعلتُهُ على صفٍّ، قالَ سبحانَهُ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطّور: 20]، وصَفَفْتُ اللَّحْمَ: قَدَّدْتَهُ، وألقيتَهُ صفًّا صفًّا، والصَّفيفُ: اللَّحْمُ المصفوفُ، والصَّفْصَفُ: المُستوي من الأرضِ، كأنَّهُ على صفٍّ واحدٍ، قالَ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧﴾ [طه: 106 - 107]، قالَ تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾، أيْ: مُصطفَّةً[1].

3) ﴿وَجَبَتْ﴾: المعنى المحوريُّ للأصل (وجب) معناه سُقوطُ الشَّيءِ ووقوعُهُ[2]، قالَ تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾، أيْ: سقطَتْ، يُقالُ: وجبَ الحائطُ، أيْ: سقطَ ووقعَ، ومنهُ: وجبَتِ الشَّمسُ، أيْ: غابَتْ، وحقيقتُهُ: سقطَ قُرْصُها، والوجوبُ أيضًا الثُّبوتُ والاستقرارُ، ويُعبَّرُ به عن الموتِ، فيُقالُ: وجبَ فلانٌ، أيْ: ماتَ، تُخُيِّلَ فيهِ السُّقوطُ والثُّبوتُ، ووجَبَتْ بهِ الأرضُ توجيبًا: أسقطَتْهُ عليها[3].

4) ﴿جُنُوبُهَا﴾: أصلُ الجَنْبِ: الجارحةُ، وجمعُهُ: جُنوبٌ، قالَ سبحانَهُ: ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191]، ثمَّ يُستعارُ مِنَ النّاحيةِ الَّتي تَليها، كاستعارةِ سائرِ الجوارحِ لذلكَ، نحوُ اليمينِ والشِّمالِ لجهتِهما وناحيتِهما[4]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النّساء: 36]، الجَنْبُ: الجارحةُ المعروفةُ، وعُبِّرَ بذلكَ عن ملازمتِهِ لهُ وقُرْبِهِ منهُ؛ لأنَّ الصّاحبَ غالبًا يُلصِقُ جَنْبَهُ إلى جَنْبِ الآخرِ في المُماشاةِ والمحادثةِ والمصاحبةِ وغيرِ ذلكَ[5]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾، أيْ: سَقطَ جَنبُها، ووقعَ على الأرض بعد أن كانتْ قائمةً، وهو كنايةٌ عن حصول الموت بالنَّحر.

5) ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: (قنع) أصلانِ صحيحانِ، أحدُهما: يدلُّ على الإقبالِ على الشَّيءِ، والآخرُ: يدلُّ على استدارةٍ في الشَّيءِ، فمِنَ الثّاني: قِناعُ المرأةِ؛ لأنَّها تُديرُهُ برأسِها، ومِنَ الأوَّلِ: الإقناعُ، وهو مدُّ اليدِ عندَ الدُّعاءِ، وسُمّي بذلكَ عندَ إقبالِهِ على الجهةِ الَّتي يمدُّ يدَهُ إليها، والإقناعُ أيضًا: إمالةُ الإناءِ للماءِ المُنحَدِرِ، وقنعَ الرَّجلُ يقنعُ قُنوعًا؛ إذا

(1) الرَّاغب، المُفردات، والسَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (صفف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (وجب).
(3) الجوهريّ، الصّحاح، والسَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (وجب).
(4) الرَّاغب، المُفردات: (جنب).
(5) السَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (جنب).

سألَ، و﴿ٱلۡقَانِعَ﴾ في الآية الكريمة: السّائلُ، وقيلَ: السّائلُ الَّذي لا يُلِحُّ في السُّؤالِ.

6) ﴿وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ﴾: المعترُّ هو المُتعرِّضُ للسُّؤالِ، يُقالُ: عَرَّ واعترَّ، أيْ: تعرَّضَ، وقيلَ: هو الَّذي يتعرَّضُ، ولا يسألُ، والعَرُّ والعُرُّ: الجَرَبُ الَّذي يعرُّ البَدَنَ، أيْ: يعترضُهُ، ومنهُ قيلَ للمَضَرَّةِ: مَعَرَّةٌ، تشبيهًا بالعرِّ الَّذي هو الجَرَبُ، قالَ سبحانَهُ: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ﴾ [الفتح: 25][1].

7) ﴿سَخَّرۡنَٰهَا﴾: المعنى المحوريُّ لـ(سخر) الاحتقارُ والاستذلالُ[2]، وانقيادُ الشَّيءِ بيُسْرٍ معَ عدمِ مقاومةٍ[3]، ومِنْ ذلكَ قولُنا: سخَّرَ اللّهُ الشَّيءَ، وذلكَ إذا ذلَّلَهُ لأمرِهِ وإرادتِهِ[4]، قالَ تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣﴾ [إبراهيم: 33]، وقالَ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [الجاثية: 13]؛ وهو المعنى المُراد في الآية الكريمة.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وجـــوبُ شُـكْـرِ المُـنـعِـمِ على نِعَمِهِ

يُخبِرُ اللّهُ سبحانَهُ وتعالى عن نِعْمةٍ جليلةٍ مِنْ نِعَمِهِ على عِبادِهِ المؤمنينَ - وهي إبلُ الهَدْيِ - فيقولُ: والإبلَ العِظامَ الأجسامِ الضِّخامَ، جعَلْناها لكم مِنْ أعلامِ أمرِ اللّهِ الَّذي أمرَكم بهِ في مناسكِ الحجِّ؛ إذا قلَّدْتُموها، وأشعَرْتُموها، لكم فيها خيرٌ، وذلكَ الخيرُ هو الأجرُ في الآخرةِ بنَحْرِها والصَّدقةِ بها، وفي الدُّنيا بالرُّكوبِ - إذا احتيجَ إلى ذلك - والأكلِ منها ونحوِ ذلكَ؛ فاذكُروا اسمَ اللّهِ على البُدْنِ عندَ نَحْرِكم إيّاها صوافَّ، فإذا سقطَتْ، ووقعَتْ جُنوبُها إلى الأرضِ

(1) الرّاغب، المُفردات، والسَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (عرر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سخر).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (سخر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سخر).

بعدَ النَّحرِ؛ فقد حلَّ لكُم الأكلُ منها، وأطْعِموا منها السّائلَ وغيرَ السّائلِ، هكذا سخَّرْنا البُدْنَ لكم؛ لِتَشْكُروني على تسخيرِها لكُم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾:

الجملةُ معطوفةٌ على ما سبقَ

الواو في قوله جلَّ شأنُهُ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ للعطف على جملةِ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾، أيْ: جعَلْنا مَنْسَكًا للقُرْبانِ والهدايا، وجعَلْنا البُدْنَ - الَّتي تُهْدَى، ويُتقرَّبُ بها - شعائرَ مِنْ شعائرِ اللهِ جلَّ وتعالى[2]، فكلٌّ مِن المَنْسَك والبُدْن يُذكَر عليه اسمُ الله، وفي هذه الآية قولُه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وفي المعطوف عليها: ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾، واختصاصُه بالإسلام له من شكره، بل هو أعظمُ شكره.

سرُّ التَّعبيرِ بالبُدْنِ دونَ الإبلِ:

الإشارةُ إلى صفةِ السِّمَنِ في الإبلِ

المُرادُ بالبُدْنِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ الإبلُ، وإنَّما سُمّيتْ بذلكَ لسِمَنِها وعِظَمِ بَدَنِها[3]، وفي التَّعبير بها هنا دونَ الإبلِ إشارةٌ إلى هذهِ الصِّفةِ الَّتي بها استحقَّتْ أنْ تُفرَدَ بالذِّكرِ دونَ باقي نَعَمِ الهَدْيِ؛ لعظيم ما فيها مِنَ المنافعِ والأجرِ والثَّوابِ، فالتَّعبيرُ بها أبلَغُ في الامتنانِ الَّذي ينبغي أن يُؤدّي إلى الشُّكر.

نكتةُ تقديمِ ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ على عاملِهِ:

الاهتمامُ بالبُدْنِ تنويهٌ بشأنِها

لفظُ ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ في قولِ اللهِ تعالى ذِكْرُهُ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ منصوبٌ على الاشتغالِ، أيْ: وجعَلْنا البُدْنَ[4]، وتقديمُهُ البُدْنِ على عاملِها للاهتمام بها؛ والتنويه بشأنِها[5]، والمقامُ مقامُ تمييزٍ لها عن غيرِها مِنَ الهدايا.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 630.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 262.
(3) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 428، والزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 157.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 509.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 262.

نكتةُ التَّعبيرِ بالجَعْلِ ﴿جَعَلْنَٰهَا﴾:

مناسبةُ لفظِ الجَعْلِ لسياقِ الامتنانِ

المُرادُ بقولِهِ تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أنَّ اللّهَ شرعَ وأمرَ بقُرْبانِ البُدْنِ في الحجِّ مِنْ عهدِ إبراهيمَ ﷺ، وجعلَها جزاءً عمّا يُترخَّصُ فيهِ مِنْ أعمالِ الحجِّ، وأمرَ بالتَّطوُّعِ بها، فوعدَ عليها بالثَّوابِ الجزيلِ، فنالَتْ بذلكَ الجَعْلِ الإلهيِّ يُمْنًا وبَرَكةً وحُرْمةً ألحقَتْها بشعائرِ اللّهِ، والسّياقُ للامتنانِ بذلكَ على المُخاطَبينَ[1].

دلالةُ إسنادِ ﴿جَعَلْنَٰهَا﴾ إلى ضميرِ العظَمةِ:

تعظيمُ شأنِ شَرْعِ البُدْنِ

أُسنِدَ فعلُ الجَعْلِ في قولِ الحقِّ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ إلى نونِ العظَمةِ لتعظيمِ شأنِ جَعْلِ البُدْنِ مِنْ شعائرِ اللّهِ، ببيانِ أنَّ الَّذي جعلَها كذلكَ هو ذو الجلالِ والعظَمةِ سبحانَهُ وتعالى، والمعنى: (والبُدْنَ جعَلْناها بعظَمتِنا مِنْ شعائرِ اللّهِ)، وتشريعُ العظيمِ عظيمٌ، وزيدَ في التَّذكيرِ بالعظَمةِ بذِكْرِ لفظِ الجلالةِ في قولِهِ جلَّ وتبارَكَ: ﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾[2].

دلالةُ قولِهِ: ﴿لَكُم﴾ ونكتةُ تقديمِهِ:

الامتنانُ على المُخاطَبينَ

جيءَ بالجارِّ والمجرورِ ﴿لَكُم﴾ في قولِ الحقِّ جلَّ وتبارَكَ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ للامتنانِ على المُخاطَبينَ، والمعنى: (والبُدْنَ جعَلْناها مِنْ شعائرِ اللّهِ لأجلِكم)[3]، كما تقولُ لزيدٍ مِنَ النّاسِ: فعلتُ هذا لكَ، فأنتَ بذلكَ تمتنُّ عليهِ بما فعلتَ، كأنَّكَ تقولُ: فعلتُ هذا لأجلِكَ لا لأجلِ غيرِكَ، ولولاكَ؛ ما كانَ هذا الفعلُ، فأنتَ سببُهُ، وفي تقديمه على ما بعدَه تودُّدٌ مِن اللّه إليهم، وتقريبٌ لهم، وإقبالٌ عليهم؛ لأنَّه ذَكَر نفسه بصفة الإحسان والإنعام في مطلع السّورة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 262.
(2) البقاعيُّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 50.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 262.

معنى ﴿مِّن﴾ في: ﴿مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ :

البُدْنُ بعضُ شعائرِ اللهِ سبحانه وتعالى

حرفُ الجرِّ ﴿مِّن﴾ في قولِه تعالى ذِكْرُهُ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ للتَّبعيضِ، وهو يُفيدُ أنَّ البُدْنَ بعضُ شعائرِ اللهِ جلَّ وعزَّ[1]، وقولُهُ: ﴿مِّن شَعَـٰٓئِرِ﴾ في موضعِ المفعولِ الثّاني للجَعْلِ بمعنى التَّصييرِ[2]، والمعنى: (والبُدْنَ جعلْناها لكُم بعضَ شعائرِ اللهِ)، ولم يجئِ التَّعبيرُ على نحو: (والبدن جعلناها لكم شعيرةً) لفوات ذِكْر اسم الجلالة، ولم يقل: (والبدن جعلناها لكم شعيرةً من شعائر الله)؛ للإطناب بتكرار الشَّعيرةِ، فما عليه التَّنزيل الكريم أوجزُ وأدلُّ وأنسبُ بسياق الامتنان، فهو يُفيد عُلوَّ هذه الشَّعيرة وعِظَمَها في سياق الشَّعائر.

سرُّ إضافةِ الشَّعائرِ إلى لفظِ الجلالةِ:

تشريفُ الشَّعائرِ وتعظيمُها

معنى كونِ البُدْنِ مِنْ شعائرِ اللهِ في قولِه جلَّ وتبارك: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أنَّ اللهَ جعلَها معالمَ تُؤذِنُ بالحجِّ، وجعلَ لها حُرْمةً[3]، وإضافةُ الشَّعائرِ إلى لفظِ الجلالةِ تشريفٌ لها وتعظيمٌ يبعثانِ في النُّفوسِ إجلالَها ورِعايةَ حُرْمتِها، كقولِهم: بيتُ اللهِ[4].

براعةُ الالتفاتِ إلى الغيبة:

إقامةُ شعائرِ اللهِ علامةُ كمالِ التَّوحيدِ

الظّاهر أنْ يُقالَ: (والبُدْنَ جعلْناها لكُم مِنْ شعائرِنا)، لكنِ التُفِتَ مِنَ التَّكلُّمِ في قولِه سبحانَهُ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا﴾ إلى الغَيبةِ في قولِه تعالى: ﴿مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾[5] للتوصُّلِ بذِكْرِ لفظِ الجلالةِ إلى زيادةِ تعظيمِ شأنِ الشَّعائرِ، أيْ: مِنْ أعلامِ دينِ المَلِكِ الأعظمِ، ومَناسكِه الَّتي شرعَها لكم، وشرعَ فيها الإشعارَ، وهو أنْ يُطعَنَ بحديدةٍ في

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 61، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 67.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 509، والسَّمين، الدُّرُّ المَصون: 8/ 276.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 263.
(4) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 158، والنّسفيّ، مدارك التَّنزيل: 2/ 441، وزاده، حاشيته على تفسير البيضاوي: 6/ 115.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 67.

سَنامِها؛ تمييزًا لِما يكونُ منها هَدْيًا عن غيرِهِ[1]، وفيه أنَّ هذه الشَّعيرةَ علامةٌ على توحيدِ العبد وإيمانه، وقربه مِن اللّه وتألُّهِه.

إعرابُ جملةِ ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾:

الجملةُ استئنافٌ مُقرِّرٌ لِما قبلَهُ

قولُ الحقِّ ﷻ: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ - أيْ: منافعُ دينيَّةٌ ودنيويَّةٌ - جملةٌ مستأنفةٌ مُقرِّرةٌ لِما قبلَها[2]، فهي بعضُ نتاجِ ما قبلَها، ولهذا غابت الواو.

وقيلَ: الجملةُ حالٌ إمّا مِنْ ضميرِ المفعولِ في ﴿جَعَلْنَٰهَا﴾[3]، والضَّميرُ في ﴿فِيهَا﴾ عائدٌ على البُدْنِ، أو حالٌ مِنْ ﴿شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾، والضَّميرُ في ﴿فِيهَا﴾ عائدٌ على الشَّعائرِ[4].

توجيهُ تكرارِ ﴿لَكُمْ﴾:

تأكيدُ الامتنانِ والمَسَرَّةِ في قلوب المؤمنين

الظّاهرُ أنْ يُقالَ: (والبُدْنَ جعَلْناها لكُم مِنْ شعائرِ اللّهِ فيها خيرٌ)؛ لكنْ كُرِّرَ ﴿لَكُمْ﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾؛ لأنَّ السّياقَ للامتنانِ على المؤمنينَ وإدخالِ المَسَرَّةِ في قلوبِهم، وفي التَّكريرِ تأكيدٌ لذلكَ.

فائدةُ تقديمِ ﴿لَكُمْ﴾:

تعجيلُ المَسَرَّةِ في قلوب المُخاطَبين

تقديمُ الخبرِ ﴿لَكُمْ﴾ على المبتدأ ﴿خَيْرٌ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾؛ ليتأتَّى كونُ المبتدأ نكرةً ليفيدَ تنوينُهُ التَّعظيمَ[5]، ولتعجيلِ إدخالِ المَسَرَّةِ في قلوبِ المخاطَبينَ ببيانِ أنَّ الخيرَ لهُم لا لغيرِهم.

معنى (في) من قولِهِ: ﴿فِيهَا خَيْرٌ﴾:

البُدْن منبعٌ للخير الدُّنيويِّ والأُخرويِّ

يدلُّ استعمالُ حرفِ الجرِّ (في) الدّالِّ على الظَّرفيَّةِ في قولِ اللّهِ تعالى ذِكرُهُ: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ على أنَّ البُدْنَ ظرفٌ للخيرِ الدُّنيويِّ

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 50.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 107.
(3) زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي: 6/ 115.
(4) السَّمين، الدُّرُّ المَصون: 8/ 276.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 263.

والأُخرويِّ تشتملُ عليهِ اشتمالَ الظَّرفِ على المظروفِ، وفي التَّعبيرِ بهِ زيادةُ تأكيدٍ لسياقِ الامتنانِ، فاللهُ تعالى ذِكْرُهُ يمتنُّ على عِبادِهِ المؤمنينَ بما هو بمنزلةِ المَنْبَعِ والمَعْدِنِ للخيرِ، وكأنَّ البُدْنَ تَفيضُ بالخيرِ، ومثله قولُه تعالى من الآية السّابقة: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾.

بلاغةُ تقديمِ ﴿فِيهَا﴾:

تقديمُ ﴿فِيهَا﴾ على ﴿خَيْرٌ﴾ في قولِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾؛ للاهتمامِ بما تجمعُهُ البُدْنُ، وتحتوي عليهِ مِنَ الفوائدِ والمنافعِ[1]، وفي ذلكَ زيادةُ امتنانٍ على المخاطَبينَ، كما تقدَّمَ.

الاهتمامُ بما تجمعُهُ البُدْنُ وتحتوي عليهِ مِنَ الفوائدِ

غرضُ تنكيرِ ﴿خَيْرٌ﴾:

تنكيرُ ﴿خَيْرٌ﴾ في قولِ اللهِ عزَّ وتباركَ: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ للتَّعظيمِ، وهو يُفيدُ تفخيمَ شأنِ ما في البُدْنِ مِنَ المنافعِ الدُّنيويَّةِ والأُخرويَّةِ، أمّا الدُّنيويَّةُ؛ فهي ما يحصلُ مِن انتفاعِ الفقراءِ بلُحومِها وجُلودِها وجِلالِها ونِعالِها وقلائدِها، وما يحصلُ للمُهْدينَ وأهلِهم مِنَ الشِّبَعِ مِنْ لحمِها يومَ النَّحرِ، وأمّا الأُخرويَّةُ؛ فهي ما يحصلُ مِنْ ثوابِ المُهْدينَ، وثوابِ الشُّكرِ مِنَ المُعْطينَ لُحومَها لربِّهم الَّذي أغناهُم بها[2].

تفخيمُ شأنِ ما في البُدْنِ مِنَ المنافعِ الدُّنيويَّةِ والأُخرويَّةِ

نوعُ الفاءِ ودلالتُها في قولِهِ: ﴿فَاذْكُرُوا﴾:

الفاءُ في قولِ اللهِ تعالى ذِكْرُهُ: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ للسَّببيَّةِ[3]، وهي تفيدُ تسبُّبَ ذِكْرِ اللهِ جلَّ ثناؤُهُ عندَ نَحْرِ البُدْنِ عمّا سبقَ ذِكْرُهُ مِنَ المنافعِ الدّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ الَّتي فيها[4]: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى أنَّ على العبدِ أنْ يقابلَ النِّعَمَ بالذِّكرِ للمُنعِمِ سبحانَهُ وتعالى.

الشّاكِرُ يُقابِلُ النِّعَمَ بالذِّكْرِ لِلمُنعِمِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 263.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 263.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 67.
(4) البقاعيُّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 50، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 263.

غرضُ الأمرِ في قوله: ﴿فَٱذۡكُرُواْ﴾:

الأمرُ في قولِ الحقِّ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ﴾ للوجوبِ، وهو يُفيدُ وجوبَ ذِكْرِ المُنعِمِ سبحانَهُ وتعالى عندَ نَحْرِ البُدْنِ[1].

سرُّ الإضافة في ﴿ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾:

تنبيهٌ على وجوبِ كونِ الذَّبْحِ للتَّقرُّبِ للهِ تعالى وحدَهُ

في إضافةِ الاسمِ إلى لفظِ الجلالةِ في قولِهِ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ﴾ تنبيهٌ على وجوبِ كونِ الذَّبْحِ للتَّقرُّبِ للهِ تعالى وحدَهُ، والمعنى: (فاذكُروا اسمَ اللهِ وحدَهُ على البُدْنِ عندَ ذَبْحِها؛ لأنَّهُ الَّذي جعلَها لكُم مِنْ شعائرِهِ، وجعلَ لكُم فيها الخيرَ والمنافعَ).

وجهُ اختيارِ لفظِ الجلالةِ دونَ الرُّبوبيَّةِ:

ذِكْرُ لفظِ الجلالةِ عندَ الذَّبْحِ

اختيرَ لفظُ الجلالةِ في قولِ الحقِّ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ﴾، ولم يقلْ: (فاذكُروا اسمَ ربِّكم عليها صوافَّ) معَ أنَّ سياقَ الامتنانِ بالبُدْنِ الَّتي هي مِنْ آثارِ نِعَمِ الرُّبوبيَّةِ يقتضي ذلكَ؛ لأنَّ السُّنَّةَ جرَتْ بذِكْرِ لفظِ الجلالةِ عندَ الذَّبحِ، بأنْ يُقالَ: اللهُ أكبرُ، لا إلهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهمَّ منكَ وإليكَ[2]، ولأنَّ الذَّبْحَ من جملةِ الأُلوهيَّةِ، لا يكونُ لغيرِ الإلهِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالى، فناسبَ ذِكْرُ المُختصِّ بهِ في هذا المقامِ، مع ما فيه من التَّعريضِ بصنيعِ الَّذين صرَفوا الذَّبحَ للّاتِ والعُزَّى وغيرِها من الأصنامِ.

بلاغةُ الإيجازِ في قولِهِ: ﴿عَلَيۡهَا﴾:

في الآيةِ حذفٌ غرضُهُ الإيجازُ

في قولِهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ﴾ حذْفٌ غرضُه الإيجاز، والتَّقديرُ: (فاذكُروا اسمَ اللهِ على نَحْرِها)، وذلكَ بأنْ يُقالَ عندَ النَّحْرِ أو الذَّبْحِ: باسمِ اللهِ، واللهُ أكبرُ، اللهمَّ منكَ وإليكَ[3].

---

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 67.

(2) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 158.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 226.

بيانُ إعراب ﴿صَوَآفَّ﴾:

﴿صَوَآفَّ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ منصوبٌ على الحالِ مِنَ الضَّميرِ المجرورِ في قولِه: ﴿عَلَيْهَا﴾[1]، والمعنى: (قد صفَّتْ قوائمَها)، والإبلُ تُنْحَرُ قيامًا معقولةً[2]، وفائدةُ هذهِ الحالِ ذِكْرُ محاسِنَ مِنْ مَشاهدِ البُدْنِ، فإنَّ إيقافَ النّاسِ بُدْنَهم للنَّحْرِ مُجتمعةً ومُنتظمةً غيرَ مُتفرِّقةٍ ممّا يزيدُ هيئتَها جلالًا، وقريبٌ مِنْ ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصّف: 4][3].

حالٌ غرضه ذِكْرُ محاسِنَ مِنْ مَشاهدِ البُدْنِ

بلاغةُ الكنايةِ في قولِهِ: ﴿صَوَآفَّ﴾:

في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ كنايةٌ بديعةٌ؛ لأنَّ قولَهُ: ﴿صَوَآفَّ﴾ كنايةٌ عن كونِها قائماتٍ؛ لأنَّ قيامَ الإبلِ يستلزمُ أن تُصفَّ أيديها وأرجلها[4].

قيامُ الإبلِ يستلزمُ أنْ تُصفَّ أيديها وأرجلها

نوعُ فاءِ ﴿فَإِذَا﴾ ومعناها:

جاءت الفاءُ في قولِ الحقِّ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ للعطفِ، وهي تُفيدُ عطفَ هذهِ الجملةِ على ما قبلَها.

معنى (إذا) ودلالتُها:

حرفُ (إذا) في قولِ اللهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ للشَّرطِ، وهو يُفيدُ تعليقَ حصولِ الأكلِ مِنَ البُدْنِ على حصولِ سُقوطِ جُنوبِها إلى الأرضِ بعدَ النَّحْرِ، والقصدُ مِنْ هذا التَّوقيتِ المبادرةُ بالانتفاعِ بها؛ إسراعًا إلى الخيرِ الحاصلِ مِنْ ذلكَ في الدُّنيا بإطعامِ الفقراءِ وأكلِ أصحابِها منها، فإنَّهُ يُستحَبُّ أنْ يكونَ فُطورُ الحاجِّ يومَ النَّحْرِ مِنْ هَدْيِهِ، وكذلكَ الخيرُ الحاصلُ مِنْ ثوابِ الآخرةِ[5].

تعليقُ الأكلِ مِنَ البُدْنِ على سُقوطِ جُنوبِها بعدَ النَّحْرِ

(1) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 428.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 61.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 264.
(4) زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي: 6/ 114.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 264.

سرُّ التَّعبير بالماضي ﴿وَجَبَتْ﴾:

مناسبةُ الماضي لمقامِ الجزمِ بوقوعِ الشَّرطِ

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ سبحانَهُ: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾؛ لأنَّ (إذا) تُستعمَلُ في مقامِ الجزمِ بوقوعِ الشَّرطِ، ولذلكَ غُلِّبَ لفظُ الماضي معَها؛ لدلالتِهِ على الوقوعِ نظرًا إلى ظاهرِ اللَّفظِ، وإن كانَ المعنى على الاستقبالِ، وسُقوطُ جُنوبِ البُدْنِ إلى الأرضِ بعدَ نَحْرِها أمرٌ مقطوعٌ بهِ عادةً.

بلاغةُ الكنايةِ في ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾:

سُقوطُ الجُنوبِ كنايةٌ عن الموتِ

في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ كنايةٌ لطيفةٌ، وذلكَ أنَّ وُجوبَ الجُنوبِ معناهُ: سُقوطُها إلى الأرضِ، وهو كنايةٌ عنِ الموتِ وزوالِ الرّوحِ[1]، والكناياتُ في أكثرِ المواضعِ أبلغُ مِنَ التَّصريحِ[2].

معنى فاءِ ﴿فَكُلُواْ﴾:

الفاءُ في قولِهِ تقدَّسَتْ أسماؤُهُ: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ واقعةٌ في جوابِ الشَّرطِ، وهو قولُهُ تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾؛ وهي تُفيد الفوريَّةَ لا التَّراخي؛ وذلك لما فيها من إدخال البهجة والسُّرور على المُضحّي وآل بيته.

غرضُ الأمرِ ﴿فَكُلُواْ﴾:

الأمــرُ للإباحةِ أو الاستحبابِ وليس للوجوب

الأمرُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ ليسَ للوجوبِ؛ لأنَّ المُكلَّفَ لا يُفرَضُ عليهِ الدّاعي إلى فعلِهِ مِنْ طَبْعِهِ[3]، بل هو للإباحةِ، والمعنى: (فإذا نُحِرَتْ، فسقطَتْ ميِّتةً بعدَ النَّحْرِ، فقد حلَّ لكم أكلُها)[4]، وقيلَ: الأمرُ للاستحبابِ، يُستحبُّ أنْ يأكلَ الإنسانُ مِنْ هَدْيِهِ، وفي ذلكَ أجرٌ وامتثالٌ؛ إذ كانَ أهلُ الجاهليَّةِ لا يأكلونَ مِنْ هَدْيِهم[5]؛ لأنَّهم كانوا يتأفَّفونَ أنْ يأكُلوا مِنَ المذبوحِ للفُقَراءِ[6].

---

(1) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 72.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 63.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 264.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 635.
(5) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 123.
(6) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 16/ 9825.

معنى حرفِ (مِنْ) ودلالتُهُ:

يدلُّ التَّعبيرُ بحرفِ (مِنْ) الدّالِّ على التَّبعيضِ في قولِ الحقِّ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ على أنَّ المُستحَبَّ أو المُباحَ أكلُهُ لصاحبِ الهَدْيِ هو بعضُ البُدْنِ، والباقي يُطعَمُ منهُ القانعُ والمعترُّ كما صرَّحتِ الآيةُ.

المُستحَبُّ أو المُباحُ أكلُهُ لصاحبِ الهَدْيِ هو بعضُ البُدْنِ

دلالةُ واوِ ﴿وَأَطْعِمُواْ﴾ ونُكتَةُ التَّرتيب:

الواوُ في قولِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ للعطفِ، وهي تُفيدُ أنَّ ما يترتَّبُ على تحقُّقِ الشَّرطِ - وهو سُقوطِ جُنوبِ البُدْنِ إلى الأرضِ - أمرانِ: **أحدُهما:** الأكلُ منها، **والثّاني:** إطعامُ القانعِ والمُعترِّ، وقُدِّم الأولُ على الثّاني بيانًا لحالِ النَّفسِ الإنسانيَّة وما رُكِزَ في جبلَّتها مِن تقديمِ نفسها على غيرها، فراعَى سبحانه وتعالى ذلك لُطفًا ورحمةً بها.

الأكلُ والإطعامُ مُترتِّبان على سقوطِ جنوبِ البُدْنِ

غرضُ الأمرِ ﴿وَأَطْعِمُواْ﴾:

اختُلِفَ في دلالةِ الأمرِ في قولِ الحقِّ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾، فقيلَ: الأمرُ للنَّدْبِ، ولو صَرفَ المُهدي الهَدْيَ كلَّهُ إلى نفسِهِ؛ لم يَضْمَنْ شيئًا، وهذا في كلِّ هَدْيٍ ليسَ بكفّارةٍ، وأمّا الكفّارةُ؛ فعليهِ التَّصدُّقُ بجميعِها[1]، وقيلَ: الأمرُ للوجوبِ[2].

الأمرُ بالإطعامِ هو للنَّدبِ أو للوجوبِ

نكتةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ ﴿ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾؛ للدَّلالةِ على الدَّوامِ والثَّباتِ، وأنَّ ذلكَ صفةٌ ثابتةٌ فيهما؛ إذ لا يُقالُ: فلانٌ قانعٌ أو مُعْتَرٌّ إلّا وقد تكرَّرَ منهُ الوصفُ بحيثُ صارَ راسخًا فيهِ رُسوخَ الصِّفاتِ الجِبِلّيةِ.

الدَّلالةُ على الدَّوامِ والثَّباتِ

إعرابُ جملةِ ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾:

جملةُ ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ؛ للامتنانِ بما

الجملةُ استئنافيَّةٌ للامتنانِ بما خلقَ اللهُ من المخلوقاتِ لنفعِ النّاسِ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 68.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 265.

خلقَ اللّهُ جلَّ شأنُهُ مِنَ المخلوقاتِ لنفعِ النّاسِ، فقد سخَّرَها للنّاسِ مَعَ ضَعْفِ الإنسانِ وقوَّةِ تلكَ الأنعامِ، فيأخذُ الرَّجلُ الواحدُ العددَ منها، ويَسوقُها مُنقادةً، ويُؤلِمونَها بالإشعارِ ثمَّ بالطَّعنِ، ولولا أنَّ اللّهَ أودعَ في طِباعِها هذا الانقيادَ؛ لَما كانَتْ أعجزَ مِنْ بعضِ الوُحوشِ الَّتي هي أضعفُ منها، فتنفرُ مِنَ الإنسانِ، ولا تُسخَّرُ لهُ[1].

إعرابُ كافِ ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

الكافُ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ صفةُ مصدرٍ محذوفٍ، أيْ: سخَّرْناها لكم - معَ عِظَمِها وقُدرتِها وقوَّتِها - تسخيرًا مِثلَ ما وصَفْنا مِنْ حالِها وقتَ النَّحْرِ مِنْ كونِها صَوافَّ[2]، ويجوزُ أنْ تكونَ الكافُ حالًا مِنْ ذلكَ المصدرِ المحذوفِ[3].

الكافُ نعتُ مصدرٍ محذوفٍ أو حالٌ من المصدر المحذوف

دلالةُ استعمالِ الإشارة للبعيد في ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

التَّعبير باسمِ الإشارةِ للبعيدِ في قولِهِ سبحانَهُ وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ لتعظيمِ المُشارِ إليهِ وتفخيمِهِ، والمعنى: (مِثلَ هذا التَّسخيرِ العظيمِ المِقدارِ العجيبِ الشَّأنِ، سخَّرْناها لكُم)[4]، فسُبْحانَ الوهّابِ المَنّانِ الَّذي ذلَّلَ هذهِ الحيواناتِ على قوَّتِها ونُفورِها!

تعظيمُ المُشارِ إليهِ وتفخيمه

دلالةُ استعمالِ الماضي ﴿سَخَّرْنَٰهَا﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ اللّهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾؛ للدَّلالةِ على تأكيدِ تحقُّقِ التَّسخيرِ ووقوعِهِ، فهو أمرٌ قدَّرَهُ اللّهُ تعالى، وحكمَ بهِ في الأزلِ، وهو أمرٌ محسوسٌ مُشاهَدٌ عَرَفَهُ النّاسُ، وألِفوهُ، ولا يُنازِعُ فيهِ أحدٌ منهُم.

تأكيدُ تحقُّقِ التَّسخيرِ ووقوعِه منذ الأزل

نكتةُ إسنادِ الفعلِ إلى ضميرِ العظَمةِ:

أُسنِدَ فعلُ التَّسخيرِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 266.
(2) زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي: 6/ 115.
(3) السَّمين، الدُّرُّ المَصون: 8/ 280.
(4) البقاعيُّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 51، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 266.

إلى نونِ العظَمةِ؛ لتعظيمِ شأنِ التَّسخيرِ وتهويلِهِ، أيْ: سخَّرْناها بعظَمتِنا الَّتي لولاها ما كانَ ذلكَ لكُم، وذلَّلْناها ليلًا ونهارًا معَ عِظَمِها وقوَّتِها، ولو شِئْنا؛ جعَلْناها وحشيَّةً[1]، وهذا الإسنادُ يرجعُ إلى الإسنادِ في صدرِ الآيةِ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا﴾، وهذا من وجوهِ تماسكِها وترابطِها.

تعظيمُ شأنِ التَّسخيرِ وتهويلِه؛ إذ يحصُلُ بعظمةِ اللهِ

نكتةُ تكرارِ ﴿لَكُمْ﴾ في الآيةِ:

كُرِّرَ ﴿لَكُمْ﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ معَ تقدُّمِهِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم﴾ وقولِهِ: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾؛ لأنَّ السّياقَ للامتنانِ على المؤمنينَ بجَعْلِ البُدْنِ لهُم مِنْ شعائرِ اللهِ، وبما فيها مِنَ الخيرِ الدُّنيويِّ والأُخرويِّ، وفي تكرارِ ﴿لَكُمْ﴾ زيادةُ مبالغةٍ في هذا الامتنانِ؛ لِما يُفيدُهُ مِنْ أنَّ كلَّ ذلكَ مِنْ أجلِهم، وفيهِ تحريكٌ لسلسلةِ الشُّكرِ مِنَ العبادِ للمُنعِمِ جلَّ ثناؤُهُ؛ فيكونُ تمهيدًا وتوطئةً لقولِهِ سبحانَهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

المبالغةُ في الامتنانِ وتحريكُ الشُّكرِ من العبادِ للمُنعِمِ

توجيهُ التَّرجّي بـ(لعلَّ):

التَّرجّي في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ليسَ في حقِّ اللهِ سبحانَهُ وتعالى العالمِ بخَفياتِ الأمورِ، بل هو في حقِّنا، وبالإضافةِ إلى نظرِنا[2]، أيْ: لتتأمَّلوا ذلكَ، فتَعْرِفوا أنَّهُ ما قادَها لكم إلّا اللهُ، فيكونَ حالُكم حالَ مَنْ يُرْجَى شُكْرُهُ، فتوقِعوا الشُّكرَ بألّا تُحرِّموا منها إلّا ما حرَّمَ، ولا تُحِلّوا إلّا ما أحلَّ، وتَشْهَدوا منها ما حثَّ على إهدائِهِ، وتتصرَّفوا فيها بحسَبِ ما أمرَكم[3].

التَّرجّي في حقِّنا لا في حقِّ اللهِ

سرُّ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿تَشْكُرُونَ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الحقِّ جلَّتْ قُدرتُهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ المطلوبَ من المُخاطَبينَ المُنعَمِ عليهِم

طلبُ دوامِ الشُّكرِ واستمرارِهِ

(1) البقاعيُّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 52.
(2) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 123.
(3) البقاعيُّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 52.

بالبُدْنِ هو تجدُّدُ الشُّكرِ منهُم واستمرارُهُ مع دوامِ تجدُّدِ الإحساس بالنِّعَم، فيصيرُ الشُّكرُ دَيْدَنًا وعادةً لهم، وصفةً راسخةً فيهِم لا تُفارِقُهم.

بلاغةُ الإيجازِ في جملة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

المقصودُ إثباتُ المعنى في نفسِهِ مِن غير نظرٍ إلى مفعولٍ يقع في النَّفس

في قولِ اللّهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إيجازٌ بديعٌ بالحذفِ، وذلكَ بحذفِ مفعولِ ﴿تَشْكُرُونَ﴾، والتَّقديرُ: (لعلَّكم تشكرونَ إنعامَنا عليكم بالتَّقرُّبِ والإخلاصِ)[1]، والألصقُ بمقام التقرُّب إليهم والإقبال عليهم والتودُّد لهم، كما في التَّعبير بـ﴿لَكُمْ﴾ وتكرارِه أن يكون المقصودُ إثباتَ المعنى في نفسه مِن غير نظرٍ إلى مفعولٍ يقع في النَّفس، أيْ: لعلكم يكون منكم شُكرٌ، فهو يرضى بأيِّ شُكرٍ منهم؛ تقريبًا وتودُّدًا لهم وإقبالًا عليهم.

بلاغةُ التَّعريضِ في: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

تعريضٌ بالمشركينَ الَّذينَ وضَعوا الكُفْرَ موضعَ الشُّكرِ

معنى قولِ اللّهِ تعالى شأنُهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: خلَقْناها مُسخَّرةً لكم؛ استجلابًا لِأنْ تَشْكُروا اللّهَ بإفرادِهِ بالعِبادةِ، وهذا تعريضٌ بالمشركينَ الَّذينَ وضَعوا الكُفْرَ موضعَ الشُّكرِ[2]، كأنَّهُ قيلَ: لكي تَشْكُروا، ولا تكونوا كالمشركينَ الَّذينَ ظَلَموا أنفُسَهم بوضعِ الكُفْرِ موضعَ الشُّكرِ، فعرَّضوا أنفُسَهم لسَخَطِ اللّهِ ﷻ.

(1) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 72.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 266.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»